

الْحُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿١﴾ [الفرقان: ١]، أَحْمَدُهُ تَعَالَى
وَأَشْكُرُهُ، جَعَلَ الْقُرْآنَ ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩]،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَنْزَلَ كِتَابَهُ هِدَايَةً لِلْعَالَمِينَ، وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَشِفَاءً
لِمَا فِي صُدُورِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، يُحِلُّ
حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ، وَيَعْمَلُ بِمُحْكَمِهِ، وَيُؤْمِنُ بِمُتَشَابِهِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ،
الَّذِينَ سَارُوا عَلَى نَهْجِهِ، وَاقْتَفَوْا أَثَرَهُ، وَتَمَسَّكُوا بِهِدْيِهِ؛ فَعَزُّوا وَسَادُوا، وَمَلَكُوا وَقَادُوا، وَمَنْ تَبَعَ
هَدْيَهُمْ، وَلَزِمَ سُنَّتَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَتْ سُلَيْمًا كَثِيرًا.
أَمَّا بَعْدُ:

فِيَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ! يَا أُمَّةَ الْقُرْآنِ! اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ تَقْوَاهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وَأَنْزَلَ
عَلَيْهِ خَيْرَ كِتَابٍ لِيُخَيِّرَ أُمَّةً أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ يَهْدِيهِمْ لِأَقْوَمِ سَبِيلٍ، وَأَهْدَى طَرِيقٍ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ اللَّهِ، هُوَ الْمَلَأَ عِنْدَ الْفِتَنِ، وَهُوَ الْمُنْقِذُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ وَالْمِحَنِ، فِيهِ -
يَا عِبَادَ اللَّهِ - نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ
جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ طَلَبَ النَّصْرَ بِدُونِ التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ أَرَادَهُ اللَّهُ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ، لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا يَعْوِجُ فَيَقْوَمَ، لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ،
وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ
بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، تَكْفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ قَرَأَهُ وَعَمِلَ بِمَا
فِيهِ أَلَّا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ - كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْأَثَرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا ^(١) - وَمَنْ تَرَكَهُ وَهَجَرَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ؛ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، قَالَ اللَّهُ

^(١) رواه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٧١، ٣٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٦٩)، والحاكم في «المستدرک» (٢/ ٣٨١).

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۝١٢٦ وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۝١٢٧﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

وَقَالَ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ - إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ -

كِتَابَ اللَّهِ» ^(٢).

وَقَدْ أَمَّنَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ بِإِنْزَالِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس: ٥٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: ٨٩]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۝١٧٤ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُخِّدْهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝١٧٥﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥]، وَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩]، وَقَالَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾ [الإسراء: ٨٢]، وَقَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤].

^(٢) رواه مسلم (١٢٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، من حديث جابر بن عبد الله رضي

وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَمَعْلُومَةٌ لِكُلِّ مَنْ قَرَأَ كِتَابَ اللَّهِ بِتَدَبُّرٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ، كَمَا هِيَ سُنَّةُ أَوْلِيكَ الْأَبْرَارِ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ الْأَخْيَارِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ - الَّذِينَ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنْهُ عَشْرَ آيَاتٍ؛ لَمْ يَتَجَاوَزُوهَا حَتَّى يَعْلَمُوا مَعْنَاهَا، وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهَا، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ مَعًا، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٣) .

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَلَقَّوْنَ أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ؛ فَيَسَارِعُونَ إِلَى امْتِثَالِهَا دُونَ تَرَدُّدٍ أَوْ تَسَاهُلٍ، أُولَئِكَ الصَّفْوَةُ الَّذِينَ تَلَقَّوْا الْقُرْآنَ وَقَرَّءُوهُ عَقِيدَةً مِنْهُمْ أَنَّهِ خِطَابُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ، يُكَلِّمُهُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ؛ وَلِهَذَا حَمَلُوا رَايَةَ الْقُرْآنِ قَوْلًا وَعَمَلًا، فَأَرْهَبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَنَشَرُوا الْعَدْلَ وَالسَّلَامَ فِي أَرْضِ اللَّهِ، وَ« أَخْرَجُوا النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ » ^(٤) ، فَحَقَّقُوا الْخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ لِلْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا.

إِخْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّا الْيَوْمَ لَفِي زَمَنِ كَثُرَتْ فِيهِ الْفِتَنُ، وَتَلَاطَمَتْ فِيهِ أَمْوَاجُ الْمِحَنِ، وَاسْتَحْكَمَتْ فِيهِ الشَّهَوَاتُ، وَكَثُرَتْ الشُّبُهَاتُ، وَتَعَدَّدَتْ الْمُشْكِلَاتُ وَالتَّحَدِّيَّاتُ، وَكَثُرَ دُعَاةُ الْبِدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ، وَإِنَّهُ لَا خَلَاصَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَلَا شَدَّ لِأَزْرِ، وَلَا رُسُوحَ لِقَدَمٍ، وَلَا أَنْسَ لِنَفْسٍ، وَلَا تَسْلِيَةَ لِرُوحٍ، وَلَا تَحْقِيقَ لَوَعْدٍ، وَلَا أَمْنَ مِنْ عِقَابٍ، وَلَا ثُبُوتَ لِمُعْتَقَدٍ، وَلَا بَقَاءَ لِدِكْرٍ وَأَثَرٍ طَيِّبٍ؛ إِلَّا بِأَنْ يَتَّجِهَ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا - حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ، شُعُوبًا وَدُؤُلًا، شَبَابًا وَشَيْبًا، رِجَالًا وَنِسَاءً، عُلَمَاءَ وَعَامَّةً - اتَّجَاهًا صَحِيحًا بِكَامِلِ أَحَاسِيْسِهِمْ وَمَشَاعِرِهِمْ، بِقُلُوبِهِمْ وَقَوْلِهِمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ؛ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا، وَتَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا، وَعَمَلًا وَتَطْبِيقًا، فَهُوَ الْمَعِينُ الْعَذْبُ الَّذِي لَا يَنْضَبُ مُطْلَقًا، وَلَا يَأْسُنُ أَبَدًا، وَالْكَتَرُ الْوَافِرُ الَّذِي لَا يَزِيدُهُ الْإِنْفَاقُ إِلَّا جِدَةً وَكَثْرَةً، وَلَا تَكَرَّارُ التَّلَاوَةِ إِلَّا حَلَاوَةً وَطَلَاوَةً، بَيِّنَةٌ أَنَّهُ لَا تُمْنَحُ كُنُوزُهُ إِلَّا لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ، وَأَلْقَى سَمْعَهُ وَهُوَ شَهِيدٌ.

^(٣) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٤١٠)، و«تفسير الطبري» (١/ ٦٠) .

^(٤) وهذا من قول الصحابي الجليل رباعي بن عامر رضي الله عنه لرستم، أمير الفرس، قبل وقعة القادسية . انظر: «البداية والنهاية» (٩/ ٦٢٢) .

مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّنَا فِي هَذَا الْعَصْرِ قَدْ أَعْرَضَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ الْقُرْآنِ وَتَأَوَّاهُ عَنْهُ، فَمَنْ تَأَمَّلَ حَيَاةَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَجَدَ أَنَّهَا لَا تَمُتُ إِلَى الْقُرْآنِ بِصِلَةٍ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَمَا أَكْثَرَ الْمُخَالَفَاتِ الْمَوْجُودَةَ!! وَمَا أَعْظَمَ الْوَاجِبَاتِ الْمَفْقُودَةَ!!

عِبَادَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ! أَيُّنَ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؟! أَيُّنَ شَبَابِ الْأُمَّةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ؟! لَقَدْ اسْتَبَدَلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ -وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!- أَيُّنَ النِّسَاءِ مِنْ تَعَالِيمِ الْقُرْآنِ الَّتِي تَحُثُّ عَلَى الْحِجَابِ، وَلِزُومِ الْحَيَاءِ، وَلِزُومِ الْحِشْمَةِ، وَتَحَذِّرُ مِنَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ وَالْإِخْتِلَاطِ؟! بَلْ أَيُّنَ تَحْكِيمِ الْقُرْآنِ فِي جَوَانِبِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا؟!

الْوَاقِعُ وَالْحَقِيقَةُ -يَا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّهُ صَدَقَ فِي هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وَهَجَرُ الْقُرْآنِ -كَمَا قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَشْمَلُ هَجَرُ سَمَاعِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَهَجَرُ الْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ -وَأِنْ قَرَأَهُ وَآمَنَ بِهِ- وَهَجَرُ تَحْكِيمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَهَجَرُ تَفْهَمِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ، وَهَجَرُ الْإِسْتِشْفَاءِ بِهِ مِنْ جَمِيعِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ»^(٥). وَكُلُّ أَنْوَاعِ الْهَجَرِ هَذِهِ مُتَحَقِّقَةٌ -وَيَا لِلْأَسْفِ!- فِي وَاقِعِ النَّاسِ الْيَوْمَ.

إِنَّ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيُصِرُّونَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ، بَلْ قَدْ يَزِيدُونَ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُحَدَّثَاتِ؛ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ بِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ زَعَمُوا ذَلِكَ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَإِنْ قَرَأُوهُ فِي أَعْمَارِهِمْ كُلِّهَا.

أَيُّنَ الَّذِينَ امْتَنَطُوا صَهْوَةَ التَّعَامُلِ بِالْمَحْرَمَاتِ، وَتَلَطَّخُوا بِارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ، كَالزَّانَا وَالرَّبَا، وَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالسَّرِقَةِ، وَالْغَشِّ، وَالظُّلْمِ، وَالْكَذِبِ، وَالْغِيْبَةِ، وَالنِّمِيمَةِ، وَسَاقِطِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ؟!

أَيْنَ هُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ؟! أَيْنَ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ الْوَاجِبَاتِ، وَيَتَسَاهَلُونَ فِي الْمَأْمُورَاتِ،
كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَسَاكِينِ؟! أَيْنَ هُمْ مِنَ الْإِيمَانِ
بِالْقُرْآنِ!؟

إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ وَيَقْرَأُونَهُ، وَيُعْرِضُونَ عَنْ تَطْبِيقِهِ؛ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

وَبُؤْسًا لَهُمْ حَيْثُ تَشَبَّهُوا بِمَنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦].
فَإِلَى الْقُرْآنِ، إِلَى الْقُرْآنِ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - نَنْهَلُ مِنْ مَعِينِهِ، وَنَرْتَوِي مِنْ نَمِيرِهِ؛ لِنُحَقِّقَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ① وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ② ﴿[الإسراء:
٩ - ١٠].

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ رِيْعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا وَغُمُومِنَا،
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُكَ وَخَاصَّتُكَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
اللَّهُمَّ أَلْبِسْنَا بِهِ الْحُلَّ، وَأَسْكِنَّا بِهِ الظُّلَّ، وَزِدْنَا مِنَ النِّعَمِ، وَارْفَعْ عَنَّا النَّقَمَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ فَيَمَّا يَلِيْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾﴾ [الكهف: ١ - ٢].

أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي كَانَ خُلِقَهُ الْقُرْآنُ، بَعَثَهُ اللَّهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ كَانُوا لَا يَتَجَاوَزُونَ عَشْرَ آيَاتٍ حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ^(٦)، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الرُّفْعَةَ وَالْقِيَادَةَ، وَالْكَرَامَةَ وَالرِّيَادَةَ، وَالْعِزَّ وَالسِّيَادَةَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ؛ إِنَّمَا هِيَ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالْعَامِلِينَ بِهِ، وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ» ^(٧)، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» ^(٨)، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ؛ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا؛ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ» ^(٩).

^(٦) إشارة إلى أثر ابن مسعود رضي الله عنه، انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٤١٠)، و«تفسير الطبري» (٦٠/ ١).

^(٧) رواه مسلم في «صحيحه» (٨١٧).

^(٨) رواه البخاري في «صحيحه» (٥٠٢٧).

^(٩) رواه البخاري في «صحيحه» (٧٥٢٩)، ومسلم في «صحيحه» (٨١٥).

وَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ مُنَوَّهَةً بِمَا حَمَلَهُ كِتَابُ اللَّهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالْمَكَانَةِ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى،
فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » ^(١٠) ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الْمَاهِرُ
بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ » ^(١١) ، وَعَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ،
وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ (أَلَمْ) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِمْ حَرْفٌ » ^(١٢) ،
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ:
اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا » ^(١٣) .

فِيَا لَهُ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مِنْ فَضْلِ عَظِيمٍ، وَثَوَابٍ كَبِيرٍ لَا يَغْفُلُ عَنْهُ إِلَّا غَافِلٌ!! تِلْكَ - وَاللَّهِ -
هِيَ الْغِبْطَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، فَلَيْسَتْ الْغِبْطَةُ وَالسَّعَادَةُ بِحُطَامِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ، وَلَا بِالْمُفَاخَرَةِ بِالْمَرَاقِبِ،
وَلَا بِالْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَرَاتِبِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَخُذُوا بِكِتَابِ رَبِّكُمْ، وَإِلَى الْقُرْآنِ يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ! خُذُوا مِنْهُ مِنْهَاجًا
لِحَيَاتِكُمْ فِي جَمِيعِ شُؤْنِكُمْ، وَبِهَذَا تَسْتَرِدُّونَ مَجْدَكُمْ التَّيْدَ، وَعِزَّكُمْ الْعَتِيدَ، وَقُدْسَكُمْ الْفَقِيدَ،
﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ^(٢٠) [إبراهيم: ٢٠]، ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا
أَمْثَلَكُمْ ﴾ ^(٢٨) [محمد: ٣٨] .

^(١٠) رواه أحمد في «المسند» (٢٤٩/٥)، ومسلم في «صحيحه» (٨٠٤) .

^(١١) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٩٣٧)، ومسلم في «صحيحه» (٧٩٨)، والترمذي في «جامعه» (٢٩٠٤) .

^(١٢) رواه الترمذي في «جامعه» (٢٩١٠)، والحاكم في «المستدرک» (٥٥٥/١، ٥٦٦) .

^(١٣) رواه أحمد في «المسند» (١٩٢/٢)، وأبو داود في «سننه» (١٤٦٤)، والترمذي في «جامعه» (٢٩١٤) .

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا -رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ نَبِيٍّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ خَيْرُ كِتَابٍ، نَبِيِّكُمُ الْمُصْطَفَى
الْأَوَّابِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ، فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].